

أضواء البيان

@ 124 @ النار مع أنه صلى الله عليه وسلم يعترف بأن عيسى رسول الله وأنه ليس في النار ،
دل ذلك على بطلان كلامه عنده . .

وعند ذلك أنزل الله { إِنَّ السَّادِّينَ سَدِّقَاتٍ لَهُمْ مِّنْ ذَاتِ الْأَرْضِ نَزَّلَتْ أُوَّلَئِكَ
عَنْهَا مُبْعَدُونَ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَةًهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَدَّتْهَا أَنْفُسُهُمْ
خَالِدُونَ لَا يَحْزَنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ } ، وأنزل الله أيضاً قوله تعالى : {
وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا } . .

وعلى هذا القول فمعنى قوله تعالى : { مَا ضَرَبَ بِهِ لَكَ إِلَّا جَدَلًا } ، أي ما
ضربوا عيسى مثلاً إلا من أجل الجدل والخصومة بالباطل . .

وقيل إن جدلاً حال وإتيان المصدر المنكر حالاً كثير ، وقد أوضحنا توجيهه مراراً . .
والمراد بالجدل هنا الخصومة بالباطل لقصد الغلبة بغير حق . .

قال جماعة من العلماء : والدليل على أنهم قصدوا الجدل بشيء يعلمون في أنفسهم أنه باطل
، أن الآية التي تذرعوها بها إلى الجدل ، لا تدل البتة ، على ما زعموه ، وهم أهل اللسان ،
ولا تخفى عليهم معاني الكلمات . .

والآية المذكورة إنما عبر الله فيها بلفظة (ما) التي هي في الموضع العربي لغير العقلاء
لأنه قال { إِنَّ زَكَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ } ولم يقل (ومن) تعبدون وذلك صريح في أن
المراد الأصنام ، وأنه لا يتناول عيسى ولا عزيراً ولا الملائكة ، كما أوضح تعالى أنه لم يرد
ذلك بقوله تعالى بعده : { إِنَّ السَّادِّينَ سَدِّقَاتٍ لَهُمْ مِّنْ ذَاتِ الْأَرْضِ نَزَّلَتْ } . .
وإذا كانوا يعلمون من لغتهم أن الآية الكريمة ، لم تتناول عيسى بمقتضى لسانهم العربي ،
الذي نزل به القرآن ، تحققنا أنهم ما ضربوا عيسى مثلاً ، إلا لأجل الجدل ، والخصومة
بالباطل . .

ووجه التعبير في صيغة الجمع في قوله { مَا ضَرَبَ بِهِ لَكَ إِلَّا جَدَلًا } مع أن ضارب
المثل واحد وهو ابن الزبيري يرجع إلى أمرين : .

أحدهما : أن من أساليب اللغة العربية إسناد فعل الرجل الواحد من القبيلة إلى جميع